تعريب كتـــــاب

ذو الفقار بين ثورة يوليو والسيادة للسودان

عثمان حسن أحمد

ثورة يوليو واتفاقية السودان كتاب صغير الحجم لا تبلـــــغ صفحاته المائة والخمسين، من تأليف قائد الجناح حسين ذى الفقـــار صبرى، وقد قامت بنشره مؤسسة سجل العرب فى عام ١٩٨٢. ولم يقع الكتاب فى يدى إلاّ بعد فراغى، قبل أكثر من عام، من كتابة سلسلة من المقـالات تعليقا على كتاب أخرجه المؤلّف نفسه باللّغة الانجليزية فى عام ١٩٨٢ أيضا، وجعل عنوانه السيادة .. للسودان[١]

والمؤلّف رجل معروف للمخضرمين من الساسة. فقد عمل بالجيـش المصرى بالخرطوم (١٩٤٩-١٩٥٢)، وأصبح عضوا بوفد مصر للمفاوضات مع بريطانيا بشأن السودان (١٩٥٢-١٩٥٣). ثم أختير ممثلا لمصر فى لجنة الحاكم العام أثناء فترة الحكم الذاتى (١٩٥٣-١٩٥٥). ولقد عاصـر ذو الفقار كثيرا من الأحداث الهامّة فى السودان وأسهم فيها بصورة أو أخرى. فقد شهدت تلك الفترة اصطراع الأحزاب الاتحادية فيمـــا بينها وصراعها مع الأحزاب الاستقلالية، الى جانب صراعات كل المؤسسات السياسية مع دولتى الحكم الثنائى سعيا وراء أهدافها. وبرز الـى الوجود الحزب الجمهورى الاشتراكى منافسا لحزب الأمّة فى أكثر مـن جبهة. واستعرت الخلافات بين الكيانات السياسية، وازدادت حدّة، ولكـن حينما حزب الأمر التفّت كافّة الأحزاب خلف المفاوض المصرى حتى تـمّ توقيع الاتفاقية،[٢] كما واكب ذلك توحّد الأحزاب الاتحادية فيما عـرف بالحزب الوطنى الاتحادى[٣] والذى تحوّل - بعد حين - من دعوة الاتحاد مع مصر الى المناداة بالاستقلال. لقد عاصر حسين ذو الفقار هـــذه الأحداث وحتى إعلان استقلال السودان فى أول يناير، ولكنّه آثر فـــى كتابيه أن يقتصر على الفترة الأولى والتى تنتهى بتوقيع الاتفاقيـة المصرية فى عام ١٩٥٣ - أى ما قبل فترة الحكم الذاتى الانتقالـــى وقبـــل تحوّل الوطنى الاتحادى الى الدعوة الى الاستقلال.

إنّ موضوع الكتابين هو قصّة الاتفاقية المصرية البريطانيـــة بشأن السودان (فبراير ١٩٥٣) ودور السيد حسين ذى الفقار فى ذلـك

الانجاز. وربما كان كتاب السيادة للسودان هو الأصل،وكتاب ثورة يوليو واتفاقية السودان ترجمة أو تعريب وتهذيب وتنقيح له ،لجأ المؤلّف فيه الى الحذف والتعديل وربما الى قليل من الاضافة وذلك حسب مقتضى الحال. ونحاول فى الجزء الأول من هذا المقال أن نلخص مجمل آرائنا عن كتاب السيادة للسودان إذ أنّها تنطبق،ولحدّ كبير على النّص العربى لكتاب ذى الفقار. هذا وسنفرد الجزء الثانى من المقال لمقارنة النصّين العربى والانجليزى وإبراز التناقضات بينهما الى جانب التحوير والتبديل والاضافة مع إثبات بعض الملاحظات التى قد تساعد المهتمّين على استجلاء ما غمض فى تلك الحقبة الهامّة.

دور قادة ثورة ٢٣ يوليو:

لقد حاول ذو الفقار فى كتابه السيادة للسودان أن ينقل للقارئ ما قام به من دور لتمكين السودان من استعادة سيادته وذلك برصده وسرده لأحداث فترة حرجة فى تاريخ السودان (١٩٥٠-١٩٥٣) وحيث أتاحت له الظروف أن يكون فى قلب الأحداث وذلك إبّان وقبيل المفاوضات البريطانية المصرية بشأن السودان. وفى حقيقة الأمر فإنّ غرض الكاتب هو إثبات دوره فى الأحداث التى أدّت الى اتفاقية السودان (١٩٥٣) مع توضيح أبعاد هذا الدور التاريخى. فالكتاب ليس دراسة علمية لاستقصاء الظروف والعوامل التى قادت الى توقيع إتفاقية السودان،وإنّما هدفه إبراز دور فرد واحد فى فترة تاريخية معينة وتأثيره على مجريات الأحداث تلك مع توضيح لرؤيته وآرائه فى تلك الأحداث والأشخاص ومواقفهم وأدوارهم ،والظروف والعوامل المؤثرة فى الأحداث والأشخاص ومجريات الأمور. ونظرنا الى الكتاب فى هذا الاطار - أى أنّه سجل لانجازات ذى الفقار فى تلك الفترة ،وتقويمه الأحداث والظروف والأشخاص الذين تعامل معهم فى تلك الفترة ،وآرائه فيهم وفى مواقفهم وآرائهم..

ولا نشك فى أنّ السيد ذا الفقار قد بذل جهدا معقولا فى تلك الفترة الهامّة من تاريخ السودان - فى بناء الجسور بين الأحزاب الاستقلالية السودانية وبين الحكومة المصرية ،وفى تحسّس رغبات تلك

الأحزاب وتخفيف - إن لم يكن إزالة - شكوكها فى النوايا المصرية ؛ بل وفى تنفير "الاتحاديين" من الدعوة للاتحاد مع مصر، غير أنّ إنجازاته - فى نظرى - تتمثل فى دوره فى المفاوضات المصرية - البريطانية. وتشهد وقائع جلسات تلك المفاوضات بدوره فى أثنائها (٤)

ولكن - بكلّ أسف - فإنّ مذكراته تمضى أبعد من ذلك بكثير فإنّها تحاول تعظيم دوره بصورة تسقط أدوار الجميع. والأمثلة على هذا عديدة جدّا. فلقد صوّر السيد حسين ذو الفقار أنّ أغلب الأحداث الهامّة كانت من مبادراته وصنعه أحيانا. وهذا النّهج من معايب الكثير من المذكرات ،حيث يبالغ الكاتب فى حجم أفعاله مع تضخيم دوره وإسهامه وتقليل دور الآخرين،وذلك مأخذ أساسى على هذا الكتاب لقد صنع السيد ذو الفقار حسبما يرى هو كلّ شىء،وحتى صلاح سالم يبدو دوره هامشيا للغاية. ولقد حوّر وبدّل السيد ذو الفقار فى الحقائق تضخيما لدوره وتقليلا لعمل غيره. ولاشك أنّ ذلك قد قلّل كثيرا من قيمة هذه المذكرات.

ومهما يكن دور السيد ذى الفقار فى الأحداث ،فإنّ المتتبّع للأحداث ليرجّح أنّ قادة مصر الجدد فى القاهرة هم مصدر ومنبع تلك المقترحات الخطيرة والتى تمثل تحوّلا أساسيا فى التفكير المصرى الرّسمى. فلأول مرّة فى تاريخ العلاقات المصرية السودانية يستبعد مسئول رسمى مسألة سيادة مصر على السودان،ويعترف بحق السودانيين فى تقرير المصير. ويستبعد المرء أن يكون ذو الفقار هو صاحب تلك المقترحات وهو - بدوره - الذى أقنع قادة مصر بذلك الموقف. ولاشك أنّ ذا الفقار كان رسولا أمينا لقادة مصر ومؤتمنا لدرجة تسمح له بالتصرّف المحدود. أمّا ابتداع الأفكار الجديدة الخطيرة وتقديم المقترحات الجريئة الأصيلة فنشك فيه شكّا عظيما. فأغلب الظن أنّ قادة مصر الجدد هم الذين ابتدروا تلك الأفكار بقصد خدعة الانجليز والأحزاب الاستقلالية بذلك التحوّل التكتيكى فى موقفهم التفاوضى حتى ليتمكنوا - بعد حين - من السعى الحثيث لتحقيق أهدافهم فى وحدة وادى النيل وإجلاء القوات البريطانية من مصر. وتؤكد الأحداث التى تلت توقيع الاتفاقية صدق هذا الرأى. ووثائق الخارجية البريطانية

ترجع الفضل فى السياسة المصرية الجديدة نحو السودان لمحمّد نجيب .(٥)

دور قادة الأحزاب السودانية :

وعلى جانب الأحزاب السودانية ،فلقد قلّل ذو الفقار من دور قادتها فى السعى للسيادة للسودان،وصوّر بعضهم إمّعات تبّعا لا تفكر وجرّد بعضهم حتى من الوطنية . باختصار فقد جعل " المؤلّف" ذو الفقار هو صاحب كلّ فكرة مجرّدا الجانب السودانى - أيضا - من كلّ شىء ذى شأن. فقد أهمل ذكر بعض الأحداث الهامّة مثل مفاوضات حزب الأمّة مع حكومة الهلالى بل ودعوة نجيب لهم ومفاوضتهم .(٦) كما تجاهل مذكرات الأحزاب السودانية للحكومات المصرية مثل مذكرة حزب الأمّة ومقترحاتهم بشأن تعديل دستور الحكم الذاتى ومذكرة إبعاد السنهورى من المفاوضات(٧) ومذكرات حزب الاتحاديين(٨) (حمّاد توفيق) بشأن دستور ستانلى بيكر وغيرها من الوثائق. ولكنّه - أحيانا- يتفضل على بعض الأقطاب السودانيين فيوزّع عليهم الأدوار الثانوية والتى لا ترتقى الى مستوى المقترحات الأساسية .

ومن أهم المآخذ على هذه المذكرات أنّها أحجمت عن تنوير القارئ بجانب هام من تلك الحقبة التاريخية والمتعلّق بالمفاوضات السرية بين الجانب المصرى والأحزاب السودانية المتعدّدة ،وكيف نجحت المساعى لتوحيد كافّة الأحزاب السودانية خلف المفاوض المصرى. ونعنى - بصفة خاصّة - الاجتماعات التى عقدها ممثلو الحكومة المصرية مع ممثلى حزب الأمّة والتى انتهت باتفاقهم حول الحكم الذاتى وتقرير المصير (١٩ أكتوبر ١٩٥٢) وباتفاقية الجنتلمان (٢٩ أكتوبر١٩٥٢(٩) وكذلك اجتماعاتهم مع قادة الأحزاب الاتحادية : الأشقاء بجناحيه ، والجبهة الوطنية ،وحزب الاتحاديين،وحزب الأحرار الاتحاديين.وحزب وحدة وادى النيل (نوفمبر ١٩٥٢) ،(١٠) حيث فوّضت الأحزاب السودانية الحكومة المصرية التفاوّض باسمها على ضوء الأسس التى اتفقوا عليها وارتضوها أجمعين. ونحسب أنّ ما دار فى تلك الاجتماعات أهم من أن يهمل وأقيم من أن يستبعد من مذكرات رجل ساهم فيها ،خاصة ومايزال الغموض يحيط ببعض تلك الاجتماعات وأنّ ما دار فيها يمثل وجهات النظر الرسمية للأحزاب ومواقفها ،لا وجهات النظر الفردية التى

استشهد بها ذو الفقار فى كتابه.

السيادة للسودان:

وعلى كلّ حال،ورغما من الدور الذى قام به ذو الفقار فى تلك الفترة من تاريخ السودان،فلا يمكن للمرء أن يقول أنّ استعادة السودان لسيادته أو قبول الحكومة المصرية لحق السودانيين فى تقرير مصيرهم،هى من صنع فرد أو مجموعة معينة مهما عظم دورها، وإنّما هو ثمرة جهد كثير من الرجال والهيئات والجهات.. بالاضافة الى تأثير الظروف السياسية التى اكتنفت المنطقة إثر تصارع القوى العالمية فيها. وكان للأمّة السودانية - بإصرار قادتها وتوحّدهم- الدور الأساسى فى حق تقرير مصير السودان واستقلاله.

ذو الفقار ... والاتحاديون:

والكتاب سجل حافل بالهجوم على "الاتحاديين" لا يكتفى فيه المؤلّف بالتعميم الكاسح فى التعبير عن ازدرائه واحتقاره للاتحاديين عامّة رغم تقريره بأنّه يقصد "الأشقاء"،بل يخص بعضهم بالتجريح والتعريض. وصفحات الكتاب مليئة بالهجوم،وبتعبيرات الازدراء،وتهم التبعية بل العمالة،فيقول مرّة:

> " وعند تنازل فاروق عن العرش هرعوا لقيادتنا بالخرطوم معبّرين عن تهانيهم فى عجلة وباسراف. وصاروا يتردّدون علينا زائرين،ولقد ظهرت عليهم - بصورة أو بأخرى - بوادر عدم الارتياح نسبة لسقوط النظام القديم وخشية توقف الانسياب المنتظم للاعانات"(١١)

وحينما بدأ ذو الفقار مشاوراته،كان سروره بالغا لاختفاء قادة "الاتحاديين" ليريحوه من الاتصال بهم ومشاورتهم فيقول:

> "ومن حسن الطالع ألا أثر لهم هناك (يعنى فى الخرطوم) وكنت مدركا لاتجاهاتهم المكابرة العنيدة. فلقد انتعشوا بفضل العون المالى من القاهرة ولربما أشاروها سعيرا على كلّ من يهدّد

وضعهم المتميّز. فلو اتصلت بهم فى مرحلة باكرة لاتهمونى - بعنف - بخيانة قضية الوحدة المقدّسة ..... بل وقد تصل بهم القحة بأن يصفونى بخيانة وطنى. (١٢)

وهذه وغيرها من الفقرات هى بعض انتعادات أو هجوم المؤلّف على "الاتحاديين". ويمكن تصنيف هذا النقد فى ثلاثة موضوعات : أولها تلقيهم الاعانات من الحكومات المصرية السابقة وما يتبع ذلك من وضع متميز، وثانيهما، وهو متصل بالأول، تبعيتهم لتلك الحكومات بصورة تمنعهم من رؤية مصالح السودان، وثالث موضوعات الانتقاد هو عدم جدّيتهم فى مواجهة الانجليز وتصفية الادارة البريطانية (أرجع لحديثه عن السيدين ميرغنى حمزة ومبارك زروق) (١٣)

وأول ما يؤخذ على المؤلّف فى هذ الصدد هو منهجه الذى اتخذه حيث لجأ الى التعميم الظالم واعتمد على الانتقاء الاختيارى لما يلائم غرضه وهدفه. أمّا موضوعات الهجوم فتحتاج لوقفة أطول. فالحديث عن الأموال المصرية تنقصه الدقة ولا يخلو من تعميم حتى ولو قبلنا احتراز المؤلّف واستدراكه بأنّه يعنى "الأشقاء" لا الاتحاديين قاطبة. ولا نريد الدفاع عمّن انتفعوا بتلك الأموال، فهم مسئولون مسئولية ضخمة فى تبرئة أنفسهم أمام التاريخ، ولكن كان على المؤلّف أن يخصّص فى هذا الأمر ولا يعمّم فيقول بعض قادة هذا الحزب أو ذاك. والعدل يقتضى أن ينال "الرّاشى" - أيضا - قليلا ممّا لقى المرتشى. والأمانة توجب ألاّ يكون "النّاقد" طرفا فى مثل هذه المعاملات ! والمعاصر لتلك الفترة يشق عليه أن يقبل حكما أخلاقيا فى هذا الأمر من المؤلّف. والاتهامان الآخران برهنت الأيام، وقبل مغادرة ذى الفقار للسودان، على عدم دقتهما. ولا يحتاج المرء لدليل فى هذا ليثبت أنّ المؤلّف قد جانبه التوفيق فى التلميح بتبعية قادة "الاتحاديين" لحكومات مصر ولا عدم جدّيتهم فى تصفية الادارة البريطانية. فلقد برهنت الأيام خلاف ذلك فى الحالين، وحتى بالنسبة للأشقاء، أكثر الأحزاب الاتحادية التصاقا بمصر الرسمية ! تمرّدوا على مصر وانحازوا لقضية الاستقلال والسيادة، وذلك بعد نجاحهم فى تصفية الادارة البريطانية فى السودان وربما قبل ذلك بفترة.

تناقض ذو الفقـــــار:

لا يحتاج قارئ هذا الكتاب الى عظيم جهد ليدرك تعاطـــــف المؤلّف مع بعض قادة الحركة الاستقلالية وإيثاره لهم على خصومهـــم ممّن يطلق عليهم "الاتحاديين". ومن الجائز أن يكون المؤلّف من أولئك الذين يعتقدون أنّ السودان سيكون عالة على مصر وأنّه من الأفضـــل لمصر التفاهم مع خصومها ممّن يعترفون بمصالحها الخاصّة فى السودان بدلا من الاعتماد على حلفاء غير مضمونين.(١٤) والسؤال الذى يتبـادر للذهن: هل كانت هذه المشاعر سائدة فى تلك الفترة التى يتحـــدّث عنها المؤلّف (١٩٥٠-١٩٥٣) أم نشأت فى الأعوام التى تلت توقيـــع الاتفاقية. وحينما تحوّل الحزب الوطنى الاتحادى عن الدعوة للاتحـــاد مع مصر؟ ولو صحّ أنّ ذا الفقار كان ميّالا لدعاة الاستقلال فى تلـــك الفترة. فكيف يستقيم عقلا أن توكل اليه مصر الرسمية مهمّة رسميـــة (وغير رسمية) فى فترة الحكم الذاتى، خاصة وقد ظلّت الحكومة المصرية فى تلك الفترة تحاول وبكلّ السبل كسب السودانيين لأى شكل من أشكـــال الوحدة مع مصر؟ صحيح أنّ الصاغ صلاح سالم - وزير شئون الســـودان - قد اتهم ذا الفقار بأنّه كان يعمل لعرقلة الاتحاد بين مصـــــر والسودان فى فترة الحكم الذاتى وحينما كان ذو الفقار ممثلا لمصـــر فى لجنة الحاكم العام الى جانب مسئوليته الأخرى فيما يتعلّق بشئون مصر فى السودان. وقد أنكر ذو الفقار تلك التهمة فى ذلك الزمـــان إنكارا تامّا أثناء التحقيق معه أمام مجلس الثورة.(١٥) والمعلـــوم أنّ السياسة المصرية التى اختطّها الصاغ صلاح سالم فى ذلك الوقـــت كانت تعمل لتحقيق الوحدة مع مصر بكلّ السبل وبكلّ الطرق، وكـــان ذو الفقار على قمّة الجهاز الذى أوكل اليه تنفيذ تلك المهمّـــة. والأستاذ على حامد - من أقطاب الأشقاء وقادته - يروى فيقول:-

"وفى منزل المرحوم يحى الفضلى التقى السيـــد اسماعيل الأزهرى وزملاءه قادة الوطنى الاتحـــادى وأجمعوا أمرهم على أنّه لابدّ من الاتصال بمصـــر وإخطارها بعزم "الاتحاديين" على الوقوف مـــع الاستقلال موضحين الأسباب التى دفعتهم لهـــذا

التحوّل. وفى الخرطوم التقى وفد الوطنى الاتحادى مع السيد حسين ذو الفقار صبرى العضو المصرى فى لجنة الحاكم العام وأخطروه بما أجمعوا عليه ،ولكنّه مع الأسف لم يقتنع وقال لهم إنّ العالم أجمع سيقول إنّ أصدقاء مصر وحلفاءها فى السودان قد تخلّوا عنها ولذلك فإنّ مصر لن يكون لها همّ بعد الآن إلاّ تحطيم الوطنى الاتحادى حتى يقول الناس أنّ الوطنى الاتحادى قد فقد التأييد فى السودان بعد أن تخلّى عن الاتحاد". (١٦)

وهناك من يقول بأنّ حسين ذا الفقار لم يكتف بتهديد الحزب الوطنى الاتحادى،بل سعى الى تحطيمه فعلا وإبعاده عن الحكومة بالتعاون مع خصومه وخصوم مصر !(١٧) بل من الطريف أنّه فكّر فى إحياء الحزب الوطنى (حزب الشريف عبد الرحمن الهندى) والذى انهزم فى انتخابات أول برلمان سودانى ولم يوفق فى الحصول على مقعد برلمانى واحد. فعل ذلك رغبة فى حرب الحزب الوطنى الاتحادى. وتجىء شهادة يحى محمد عبد القادر،سكرتير ذلك الحزب آنذاك ، لتصف ذلك فيقول الأستاذ يحى:-

"وقابلت ذات يوم السيد/ حسين ذو الفقار ممثل مصر فى لجنة الحاكم العام .. واقترح خلال الحديث بأن يعمل على تمويل الحزب وقدّر الدفعة الأولى التى تمكّن الحزب من النهوض بخمسين ألف جنيها....". (١٨)

صحيح أنّ حسين ذا الفقار قد عاد وغيّر رأيه بشأن هذه الصفقة ولكن المهم أنّه كان متورّطا فى أمور (المال) وفى حرب المنادين بالسيادة للسودان من أقطاب الوطنى الاتحادى،ويبدو أنّ هذه المحاولة وغيرها من محاولات ذى الفقار آنذاك هى التى دفعت بقيادة الحزب الى اللّجوء الى الصحفى اللّبنانى جبران حائك(١٩) ليتصل بالرئيس جمال عبد الناصر موضحا له الموقف ومحاولا التوسّط فى تنقية العلاقات

المصرية السودانية وقبول استقلال السودان. وننقل طرفا من خطاب حائك الى اسماعيل الأزهرى بعد مقابلته الثانية للرئيس جمال عبد الناصر فى ٢٢ أكتوبر ١٩٥٥- حيث يقول:-

"أبلغته رأيكم فى مهمّة حسين ذو الفقار واقترحت وقف نشاطه ونشاط غيره من الذين قد يرى السودانيون فى تصرّفاتهم تشويه لسياسة مصر الحكيمة". (٢٠)

والمدهش أن يحدث هذا بعد استقالة الصاغ صلاح سالم من الحكومة المصرية بسبب فشل سياسته فى السودان، وكان من المقرّر أن يستقيل معه ذو الفقار ولكن ترك أمر اعلان تلك الاستقالة لعبد الناصر نسبة لعضوية ذى الفقار فى لجنة الحاكم العام. (٢١) والغريب أنّ الرجل الذى يزعم أنّه وراء إعادة "السيادة للسودان" لا يفرح ولا يبتهج حينما يتحوّل الحزب الوطنى الاتحادى الى الدعوة الى الاستقلال ويتخلّى عن "التبعية" التى اتهمه بها !.

زلّة لسان .. أم غرض :

والمرء يتساءل عن إصرار ذى الفقار على استعمال لفظ "الاتحاديين" بدلا من "الأشقاء" رغما عن إدراكه للفرق وما قد يخلق من التباس خاصّة وهو يؤكد أنّه يتحدث عن فترة ما قبل الاتفاقية وحينما كان الحزب الوطنى الاتحادى فى رحم الغيب ! وكان التباين بين (الأشقاء) و(الاتحاديين) بيّنا واضحا لا يدعو للخلط حتى لأولئك الذين برعوا فى خلط أسماء السودانيين. فلقد كان التمييز بين الأشقاء والاتحاديين من المسلّمات لما بينهما من خصومة عنيفة وتنافس حاد وتباين فى الآراء والوسائل والمناهج بل والمنابع. وكانت أوائل الخمسينات (١٩٥١-١٩٥٣) فترة إحتلّت فيها أخبار حزب الاتحاديين (الأبروفيين) الأنباء والمجالس لرفضهم لدستور النحّاس باشا على السودان، ولردّ رئيسهم السيد حمّاد توفيق للقب "البكوية" الى الملك فاروق لاهداره للدستور وعزله للحكومة الشرعية، ولانقسامهم المشهور حول اشتراكهم مع الجبهة الوطنية فى محاولات تعديل الدستور وانضمام فئة منهم لدعاة التعديل ورفض فئة أخرى، ولاقالتهم لسكرتيرهم العام،

وظلّوا طوال تلك الفترة يحتفظون بدار مستقلّة عن نادى الخرّيجين على خلاف كافّة الأحزاب الاتحادية الأخرى. ونستبعد أن يجهل مهتم بالحياة السياسية السودانية ومعاصر لها الفروق والاختلافات بين حزبى الاشقاء والاتحاديين فى تلك الفترة على وجه التحديد (١٩٥١-١٩٥٣)، ناهيك عن رجل مثل ذى الفقار عاصر وخبر الحركة السياسية - كما أكّد فى كتابيه - لأعوام قبل قيام ثورة يوليو١٩٥٢. بل هناك ما يدلّ على أنّ الكاتب ملم بالاختلاف بين الأحزاب الاتحادية عامّة والأشقاء والاتحاديين على وجه التخصيص كما أثبت - بنفسه - فى النّص العربى لمؤلّفه.(٢٢) أفلا يحق للقارئ أن يخلص الى أنّ إصرار المؤلّف على استعمال كلمة "الاتحاديين" بدلا من "الأشقاء" يدلّ على أنّه يتحدّث عن فترة الحكم الذاتى (١٩٥٤-١٩٥٥) - فترة الصراع بين الحزب الوطنى الاتحادى ومصر حول الاتحاد .. لا عن الفترة التى سبقت توقيع الاتفاقية المصرية البريطانية (١٩٥١-١٩٥٣)؟ ألا يجوز للمرء - أيضا - أن يحسب أنّ ذا الفقار قد عمد للنيل من الاتحاديين لتخلّيهم عن الدعوة للاتحاد مع مصر ؟ أم تراها كانت زلّة لسان أو قلم؟

ذو الفقار .. والضعف البشرى:

واستوقفتنى فقرة فى آخر كتاب السيادة للسودان يتحدّث فيها المؤلّف عن زميل له فى وفد المفاوضات فيقول:-

> "لابدّ أن تسنح لكلّ امرئ فرصة أن تلتقطهم الكاميرات فتسجّل اتجاهات ولائهم لقضية الثورة المباركة وتأييدهم العميق الكامل لمستقبلها أيّا كان ذلك المستقبل. حتى دكتور حامد سلطان(٢٣) النحيل - الذى تمد حقنات الأنسلين جسمه المنهوك من داء السكر بأسباب الحياة يوميا - حتى ذلك المخلوق دفعنى جانبا ودونما كياسة، ليضع نفسه بين نجيب و(صلاح) سالم، متشبّثا بقوّة وحزم بكتفيهما، ووجهه شبيه وجه الفأر ذاك يشرق بين وجهيهما بمظاهر السعادة الغامرة أمام عدسة التصوير

التى لم تكف عن أخذ الصور مرّة تلو الأخرى".(٢٤)

ويبدو ممّا سبق أنّ صدر حسين ذى الفقار لا يتسع لاحتمال سلوك الآخرين ورغبة بعضهم فى الأضواء،وهو طموح بشرى مشروع وقد يراه البعض ضعفا بشريا. ولكنّه ضعف لا يضر مخلوقا ولا يضير بأحد. ومن الطريف ألا يفطن المؤلّف الى أنّ محاولته فى هذا الكتاب لا تختلف عن محاولة د. حامد سلطان، إن صحّت هذه ،إذ أنّها محاولة فى الشموخ بين اللّواء محمّد نجيب وصلاح سالم فى لوحة التاريخ وليس أمام عدسات التصوير.

تنويع واختلاف :

وأول ما يلفت النظر فى النّص العربى هو اختلاف العنوان، إذ يوحى عنوان الكتاب (الانجليزى) بتعاطف المؤلّف مع الدعوة لعودة السيادة لأهل السودان،ومحاولته استمالة وجدان أنصار السيادة للسودان،وما أكثرهم من الانجليز وقرّاء الانجليزية. ويجىء النّص العربى ليضرب على أوتار (ثورة يوليو) ومناصريها.وقد تكون لاختيار العنوانين مبرّرات تجارية تعرفها دور النشر. ولاشك أنّ عنصر استمالة القرّاء من أهم عوامل اختيار العنوان. والناس ، أغلب الناس يفهمون (الجواب من عنوانه) كما يقول المثل السائر. ولكن عنوان الكتابين لا يدلاّن على موضوعهما ،والذى يمكن تلخيصه فى إيجاز غير مخل أنّه إبراز دور السيد حسين ذى الفقار صبرى فى: استرداد سيادة السودان لأهله ! أو توقيع الاتفاقية المصرية البريطانية بشأن مستقبل السودان ! فموضوع الكتابين - إذن - واحد وهو دور السيد المؤلّف فى مستقبل السودان.

واقتضى الأمر،فيما يبدو، أن يعدّل المؤلّف فى عناوين فصول النّص العربى والعناوين الجانبية لتلائم القارىء العربى،فصارت المقدّمة (بالانجليزية) فصلا عنوانه "مصر والسودان عبر القرون". ثم دمج الفصلين الأول والثانى،"خروج فاروق" و"تيّار مستتر من عدم الثقة" فى النّص الانجليزى،ليصبحا فصلا بعنوان "قيام الثورة واتصالاتى فى الخرطوم" فى الكتاب العربى. أمّا عناوين الفصل الرابع والخامس والسادس فلا اختلاف بينهما فى النّصين. ولكن المؤلّف جمع الفصل

السابع والثامن، "بداية المباحثات المصرية البريطانية" و"صلاح سالم يذيب الجليد" في فصل واحد في النّص العربي وأطلق عليه عنوانا هو "دور محمّد نجيب وانطلاقات صلاح سالم"!. والفصل التاسع في النّص الانجليزي، "اللّمسات الأخيرة"، يعادل الفصل الثامن في الكتاب العربي وعنوانه "وثيقة الأحزاب السودانية"! والفصل الأخير في النصّين هو "توقيع الاتفاقية"، والاختلاف في فصول الكتابين قد يكون من صنع المحرّر (البريطاني) إذ من عادة الناشرين أن يوكلوا للمحرّرين معاونة المؤلّفين خاصة الكاتبين بلغاتهم غير لغاتهم صياغة كتبهم وإعدادها إعدادا فنّيا يلائم القارئ الأفرنجي. والاختلافات هذه، في عنوان الكتاب والعناوين الجانبية، هي اختلافات شكلية ولكنّها موحية ومعبّرة عن رغبة المؤلّف في التأثير على القارئ في تفهّمه لمحتوى الكتاب أو الفصل، بصورة أو بأخرى. ورغما عن ذلك التنوّع والاختلاف في النصّين العربي والانجليزي فقد ظلّ المحتوى، في أساسه، واحدا، وهو رصد دور وإنجاز حسين ذي الفقار في مستقبل السودان.

موضوع الكتابين:-

فكتاب ثورة يوليو واتفاقية السودان، مثل شقيقه الانجليزي، لا يعترف لثورة يوليو بفضل في تلك الاتفاقية، إنّما يؤكد ما ذهب اليه المؤلّف في نصّه الانجليزي من أنّ حسين ذا الفقار هو صاحب المبادرات بشأن الاتصال بكافة الأطراف السودانية قبل قادة (ثورة يوليو)، بل وتحت إلحاح المؤلّف وضيقا به يوافق صلاح سالم على ضرورة الاتصال (بمختلف الأحزاب والهيئات السودانية!)... وحتى ذلك دونما اهتمام جدّي! على حدّ قول المؤلّف.[٢٥] وتمضي فصول الكتاب، مثل صنوه بالانجليزية، في تأكيد اهتمامه بموضوع السودان ولا مبالاة أعضاء مجلس قيادة الثورة.[٢٦] فالأمر الهام الذي يجمع بين الكتابين العربي والانجليزي هو محاولة ذي الفقار إقناع القارئ بأنّ موقفه يختلف عن موقف المسئولين المصريين إذ يدّعي لنفسه حرصا على مستقبل السودان لا يشاركه فيه المسئولون المصريون، وأنّه صاحب إرادة مستقلّة وفكر مستقل عن مصر الرسمية، وأنّه لم يكن يتصرّف كموظف عام في الحكومة المصرية يعمل وفق إرشاداتها وتوجيهاتها. بل كانت حكومة

مصر المستجيبة لرغباته والمتبينة لأفكاره. وإنّ كلّ ما قام به من إنجاز رصده فى الكتابين إنّما هو من نتاج جهده وفكره، عليه يشكر وبه يحمد، إذ لم يكن ذو الفقار يباشر تنفيذ سياسة وضعها قادة مصر وساستها وإنّما من صنعه هو. ولقد أدّى هذا الاتجاه أو المنهج الى المبالغة والمغالاة فى دور المؤلّف مع تقليل دور الآخرين من مسئولين مصريين ومن قادة أحزاب السودان !

تعريب وإخراج :-

وأول سؤال يتبادر الى الذهن فى شأن كتاب ثورة يوليو واتفاقية السودان لو أنّ النّص العربى يختلف - فى كثير أو قليل - عن صنوه السيادة للسودان - ولا نحتاج الى تأكيد أنّ المادة الأساسية للكتابين هى نفسها،[٢٧] وأنّ المعالم الرئيسية لموضوع المؤلّف لم تتغير فى أىّ من النّصين، ولكن النّص العربى يختلف اختلافا بيّنا عن رصيفه الانجليزى، اختلافا يستوقف القارئ ويثبت ما أشرنا اليه من منهج المؤلّف الانتقائى الاختيارى وأسلوبه المألوف فى التعديل والحذف والتلوين ! إنّ الاختلاف بين الكتابين يعكس منحى عقليا غريبا واتجاها فكريا خطيرا. والاختلافات بين النّصين كثيرة ومتعدّدة ومتنوّعة، ولكنّها تتلخص فى قليل اضافة، وبعض تعديل، وكثير حذف، مع اختلاف النفس والروح أحيانا. ولا سبيل الى رصد كلّ ذلك وإثباته، بل ولا حاجة لنا بذلك. ونكتفى بإيراد أمثلة مع إبراز أهم الاختلافات وأبعدها أثرا وأعمقها غورا - ونعنى بذلك أساليب ووسائل المؤلّف فى (التعديل) لتحقيق أغراضه وأهدافه.

إضافات .. طفيفة :-

عمد المؤلّف الى قليل من الاضافات فى مواقع متعدّدة من الكتيب العربى، وهى إضافات طفيفة ولكنّها ذات أثر. فقد لجأ المؤلّف - أحيانا - الى إضافة فقرة، أو جملة أو جملتين فى موضع محققا ما يصبو اليه من غرض فيقول :-

"كنت قد اجتمعت بالهيئات السودانية على اختلاف ألوانها، فيما عدا التجمّعات العمّالية

بمدينة عطبرة والتنظيمات الشيوعية السرّية تعذر الوصول الى رئاستها مباشرة، إلاّ أنّه أمكننى الاتصال بأفراد منهم- عمّالا كانوا أم شيوعيين - منبثين فى صفوف بعض التنظيمات الأخرى". (٢٨)

وربما كان سبب إضافة هذه الفقرة فى النّص العربى هو إضفاء شىء من (الموضوعية) على نهج ذى الفقار فى معالجة المسألة السودانية ومحاولة لتأكيد دعواه بضرورة مخاطبة كافة الجهات السودانية. وتعذر الوصول الى رئاسة التنظيمات الشيوعية عذر غير مقبول،فكان من الممكن حدوث ذلك عن طريق نفس الأفراد الذين ذكر لو توفّرت النية وصحّ العزم وتأكّد القصد.

وعلى الرّغم من تقليله من ذكر أسماء السودانيين فى النّص العربى حينما يروى الأحداث، إلاّ أنّه اقتحم اسم محمّد الخليفة شريف[٢٩] حينما تحدّث عن الخلاف وسط (الأنصار) فيقول:-

تيّار يتزعّمه محمّد الخليفة شريف ،يرىأنّ دستور الحكم الذاتى قد هيأ بعد طول انتظارإمكانية التخلّص آخر الأمر من قيود الارتباطات الشكلية التى بين مصر والسودان،فينفتح الطريق أمام تنصيب السيد عبد الرحمن المهدى ملكا على السودان،ولو فى ظلّ هيمنة بريطانية ثم تثّار يتزعّمه المثقفون يسعى الى قيام جمهورية مستقلّة ،عديد منهم كانوا يتحسّرون فى قرارة نفوسهم على مقاطعة المصريين لهم ..." (٣٠)

ولا أدرى مدى صحّة هذا الزّعم ودقته ،ولكن من المعروفأنّ محمّد الخليفة ظلّ يمثل اتجاها واضحا يقف خلف ابن أخته السيد/ الصديق المهدى ويدعمه وهو الذى أبعد شباب الأشقاء عن السيد/ عبد الرحمن فى فى أوائل الأربعينات. وواضح أنّ الفكرة التى يعبّر عنها المؤلّف هنا لا تختلف عمّا كانت تعتقده الجهات الرسمية المصرية آنذاك وكثير من قادة الأحزاب الاتحادية عن الأطماع الملكية للسيد عبد الرحمن

المهدى. وأغلب الظن أنّ تلك محاولة من المؤلّف لاظهار المعرفة بخبايا السياسة السودانية ودقائقها، وربما أنّه عمد الى إغفال هذا فى النّص الانجليزى أكثر من محاولة إثباته فى كتابه بالعربية، وذلك تجنّبا للاشارة بأنّ للسيد عبد الرحمن أطماعا ملكية.

ومن الطريف أنّه ذكر "حزب الاتحاديين"، بل وأفرد له فقرة وأثبت أنّه "ينادى بقيام الاتحاد بين مصر والسودان، ولكن مع احتفاظ كلّ منهما بشخصيته المستقلّة، وبمؤسساته المتميزة." (٣١) وقد يكون هذا أيضا من دواعى تأكيد المعرفة الدقيقة بالخارطة السياسية للسودان آنذاك. ولا أحسب أنّ إغفاله من ذكر حزب الاتحاديين فى كتاب السيادة .. للسودان من باب المصادفة ولا لأنّه حزب صغير. وإنّما لأنّ ذكره سيفسد على المؤلّف خطّته فى الهجوم (على الاتحاديين) وزعمه بتبعيتهم لمصر، خاصة وأنّهم ظلّوا ينادون بنوع من الاتحاد شبيه بالدومنيون ! بالاضافة الى (التشويش) والخلط الذى قد يسبّبه للقارئ الانجليزى لاستعمال المؤلّف غير الدقيق لكلمة "الاتحاديين".

غير أنّ أهمّ الاضافات كانت فى روايته لمسعى صلاح سالم لاقامة تنظيم واحد للأحزاب الاتحادية، والتى انتقدها المؤلّف فى الكتابين ولكن بدرجات متفاوتة. فيعترف حسين ذو الفقار بأنّ ذلك التوحيد مكّن الحزب الوطنى الاتحادى من الحصول على أغلبية فى الانتخابات. ثم يضيف ويقول بالنّص :-

> "ومن ثمّ أعانتنا مواقف حكومة اسماعيل الأزهرى والبرلمان المؤيد له، على أن تعصف لجنة السودنة سريعا بمكامن النفوذ البريطانى المتغلغل فى الأجهزة الحسّاسة من إدارة وجيش وشرطة ..." (٣٢)

ولم يذكر المؤلّف هذا إحقاقا للحق وإثباتا للحقيقة وإلاّ لكان مكانها كتاب السيادة .. للسودان ! وربما أراد أن يخفّف بها غلواء هجومه على توحيد الأحزاب الاتحادية لعلمه وتيقنه بأنّ ذلك لن يلقى التأييد من الكثير من قرّاء كتابه من المصريين والسودانيين من أنصار تلك الأحزاب، ولمعرفة الكثير من القرّاء حقيقة اشتراكه فى

اجتماع توحيد ذلك الحزب .[٣٣]

ومن الاضافات الطفيفة اعتراف المؤلّف فى النّص العربى بأنّ دكتور حامد سلطان هو مصدر معلوماته عن خطّة السيد صلاح سالم لمجابهة البريطانيين وإحراجهم أثناء المفاوضات . ويبدو أنّ للمؤلّف ثأرات مع الدكتور حامد سلطان. فلقد روى المؤلّف فى كتابه بالانجليزية وعلى مدى صفحات[٣٤] كيف أعدّ صلاح سالم العدّة لمواجهة الجانب البريطانى بمشروع مضاد لذلك الذى تقدّموا به . وكانت الرواية ،وكأنّه عرف تفاصيل الأمر مباشرة رغم اعتكافه ومرضه ،ولكنّه اعترف - كارها إ- بأنّ الدكتور حامد سلطان قد زاره وأخطره بتفاصيل الأمر إ ولا يذكر المؤلّف مطلقا اسم الدكتور حامد سلطان فى النّص الانجليزى فى سياق هذه الرواية إ وما كنت لأهتم بتلك (الهفوة الصغيرة) لولا حديث المؤلّف غير الكريم عن دكتور حامد سلطان والذى استشهدنا به وترجمناه من قبل فى الجزء الأول من هذا المقال.

الحذف والاغفال:-

اختفت أجزاء ضخمة من كتاب السيادة..للسودان ولم تظهر قط فى كتيب ثورة يوليو واتفاقية السودان. وبعض الذى حذف لا يأبه به ، إذ أنّه لا يثير اهتمام القارئ العربى مثل تفضيل المؤلّف لحجرة (البلياردو) بنادى الثقافة على تلك الكئيبة بالفندق الكبير ومثل هذه العبارات التى قد يستظرفها بعض القرّاء الانجليز والتى قد تجعلهم يحسّون بقرب وجدانى من المؤلّف إ فربما أملته ضرورة التمييز حين مخاطبة جمهورين مختلفين من القرّاء.

ويبدو أنّ المؤلّف آثر ألاّ يتعرّض لأسماء السّاسة السودانيين فى النّص العربى فكادت أسماؤهم أن تختفى من هذا الكتيب إ إلاّ فيما ندر جدّا، فلم يذكر إلاّ قلّة قليلة وفى مواضع محدّدة ،وعمد الى ذكر بعض الأحداث منسوبة للمجهول إ فاختفت تعليقات المؤلّف الظريفة عن بعض القادة السودانيين كالدرديرى عثمان[٣٥] وخلف الله خالد[٣٦] ومحمّد نور الدين[٣٧] وأزهرى والتى لم تخل من صدق وحسن ملاحظة ،وإن كان بعضها قد يبدو جارحا غير لائق فى نظر البعض . وواضح أنّ حذف هذا الجانب لا يحتاج الى تعليل.

وقد احتلّت مقابلة المؤلّف للسيدين الميرغنى والمهدى صفحات فى كتاب السيادة للسودان، ولكنّه اكتفى فى الكتيب العربى أن يذكر بأنّه "تحرّك ساعيا الى الاتصال بجميع الجهات مقتحما طريقه الى أعلى المستويات". (٣٨) ولا أجد تفسيرا لهذا الحذف، إن كانت المقابلات قد تمّت بالفعل ! فقد كان يكتفى المؤلّف أن يغيّر صياغة وصفه للزيارات تفاديا للحرج، إذ لا يعقل أن يبدى إعجابه بالمظهر (الملوكى) للسيد عبد الرحمن فى زمن الجمهورية الأولى لمصر !

ويثبت حسين ذو الفقار فى كتابه السيادة للسودان تفاصيل مناقشات طويلة جرت بينه وبين ابراهيم أحمد (٣٩) ويزعم أنّها جرت قبل توقيع الاتفاقية. وحقيقة الأمر فإنّ وصفها بالمناقشات فيه كثير من التجاوز، إذ أنّها اتسمت بالافاضة من جانب ابراهيم أحمد وبدت وكأنّها بيان يوضح خطأ سياسيا، (٤٠) وهو الدفاع عن الدعوة لاستقلال السودان وسيادته، فما كان حوارا أو مناقشة أو تبادل رأى أو مفاوضة وكان الظن أنّ تلك الآراء قد جمعها المؤلّف واختزنها أثناء فترة عضويته للجنة الحاكم العام مع ابراهيم أحمد ! وكان ذلك حدسى رغم تأكيد المؤلّف غير ذلك. على أى حال، فلقد اختفت كلّ تلك الصفحات الطوال من النّص العربى جملة وتفصيلا، بل اختفى اسم ابراهيم أحمد والكلمات الحسان التى وصفه بها المؤلّف لعلّه يعرفها حسين ذو الفقار. ولكن نميل الى أنّ هذه الأحاديث التى يؤكد المؤلّف أنّه أجراها مع الساسة السودانيين فى الخرطوم لم تحدث إلاّ بعد لقائه بهم فى القاهرة أو بعد تولّيه عضوية لجنة الحاكم العام. فليس هناك ما يدلّ على اتصالات بين مصر والأحزاب السودانية قبل نهاية أكتوبر ١٩٥٢ وقبل حضور الوفود السودانية لمصر. فلم ترصد الادارة البريطانية تلك الاتصالات التى جرت فى الخرطوم وإلاّ لما فوجئت بما حدث من تفاهم كما جاء فى وثائق الخارجية البريطانية (١٩٥٣)، (٤١) ولم ترد فى أىّ من مذكرات السودانيين والمصريين التى نشروها عن تلك الحقبة.

وخلا النّص العربى من قصّة الدكتور حامد سلطان (وتهالكه) أمام عدسات التصوير كما صوّرها ذو الفقار، واختفت الكلمات الجارحة التى وصف بها المؤلّف الحادثة. وحقيقة الأمر فالحادثة تافهة

لا تستحق الذكر ولا تثير الاهتمام ،ويعجب المرء كيف ظلّت فى ذاكـــرة المؤلّف لأكثر من ثلاثين عاما !

تحوير وتبديـــــــــل:-

وثورة يوليو واتفاقية السودان - كرصيفه - يطفح بالهجـــوم القاسى على (الاتحاديين) وإن بدا أخف بعض الشىء ممّا جاء فى الكتاب الآخر وذلك بحذف أسماء من يهاجم من قادة الاتحاديين. فصار المؤلّف يذكر الحوادث مبنية للمجهول كقوله (رأى وحيد تجاسر فيقترح تكوين لجنة استشارية فى سراى الحاكم العام)،[٤٢] وكان قد ذكر فى كتابه بالانجليزية أنّ ذلك من أقوال ميرغنى حمزة.

غير أنّ أطرف تحوير هو ما جرى لحوار المؤلّف مع مبارك زروق الذى أفرد له حيّزا ضخما فى كتاب السيادة للسودان ونؤثر أن نثبته بالنّص حيث يقول:

"فسعيت "للاتحادى" مبارك زروق. لقد شعـــرت بالحاجة للتأييد والتعضيد. ولكن عواقـــب السودنة الكاملة كانت أمرا لا يقوى على هضمه! فمن البداية تمسّك بعدم مقاطعة الاتحاديـــن (اقرأ الأشقاء) لانتخابات الحكم الذاتى التى اقترحها الحاكم العام إذ أنّ الختمية سيتخلّون عن مواقفهم حتى لا يتركوا الميدان خاليـــا للأنصار. ولقد استغرب من يقينى الثابـــت بالضغط على الانجليز لتعديل مشروع القانون. فقد كان يعتقد بأنّهم سيتمسكون بموقفهـــم وهأنـــذا أحرّض كلّ شخص لتحدّى الحاكم العـــام ولتصفية جهاز الادارة البريطانية. والآن أذهب الى المدى الذى أقترح فيه الطرق لطـــرد البريطانيين عسكريين ومدنيين. لقد أقلقـــه الأمر غاية القلق ! اسمع يا صديقى: هذه لعبة خطيرة. فكلّ شىء قد ينسف. ولكنّى كنت مصـــرّا بشدّة. فقال بتأتأة: هل من الممكن.. يعنى هـل

التى لم تكف عن أخذ الصور مرّة تلو الأخرى". (٢٤)

ويبدو ممّا سبق أنّ صدر حسين ذى الفقار لا يتسع لاحتمال سلوك الآخرين ورغبة بعضهم فى الأضواء، وهو طموح بشرى مشروع وقد يراه البعض ضعفا بشريا. ولكنّه ضعف لا يضر مخلوقا ولا يضير بأحد. ومن الطريف ألاّ يفطن المؤلّف الى أنّ محاولته فى هذا الكتاب لا تختلف عن محاولة د. حامد سلطان، إن صحّت هذه، إذ أنّها محاولة فى الشموخ بين اللّواء محمّد نجيب وصلاح سالم فى لوحة التاريخ وليس أمام عدسات التصوير.

تنويع واختلاف :

وأول ما يلفت النظر فى النّص العربى هو اختلاف العنوان، إذ يوحى عنوان الكتاب (الانجليزى) بتعاطف المؤلّف مع الدعوة لعودة السيادة لأهل السودان، ومحاولته استمالة وجدان أنصار السيادة للسودان، وما أكثرهم من الانجليز وقرّاء الانجليزية. ويجىء النّص العربى ليضرب على أوتار (ثورة يوليو) ومناصريها. وقد تكون لاختيار العنوانين مبرّرات تجارية تعرفها دور النشر. ولاشك أنّ عنصر استمالة القرّاء من أهم عوامل اختيار العنوان. والناس، أغلب الناس يفهمون (الجواب من عنوانه) كما يقول المثل السائر. ولكن عنوان الكتابين لا يدلاّن على موضوعهما، والذى يمكن تلخيصه فى إيجاز غير مخل أنّه إبراز دور السيد حسين ذى الفقار صبرى فى: استرداد سيادة السودان لأهله ! أو توقيع الاتفاقية المصرية البريطانية بشأن مستقبل السودان ! فموضوع الكتابين - إذن - واحد وهو دور السيد المؤلّف فى مستقبل السودان.

واقتضى الأمر، فيما يبدو، أن يعدّل المؤلّف فى عناوين فصول النّص العربى والعناوين الجانبية لتلائم القارىء العربى، فصارت المقدّمة (بالانجليزية) فصلا عنوانه "مصر والسودان عبر القرون". ثم دمج الفصلين الأول والثانى، "خروج فاروق" و"تيّار مستتر من عدم الثقة" فى النّص الانجليزى، ليصبحا فصلا بعنوان "قيام الثورة واتصالاتى فى الخرطوم" فى الكتاب العربى. أمّا عناوين الفصل الرابع والخامس والسادس فلا اختلاف بينهما فى النّصين. ولكن المؤلّف جمع الفصل

السابع والثامن، "بداية المباحثات المصرية البريطانية" و"صلاح سالم يذيب الجليد" فى فصل واحد فى النّص العربى وأطلق عليه عنوانا هو "دور محمّد نجيب وانطلاقات صلاح سالم"!. والفصل التاسع فى النّص الانجليزى، "اللّمسات الأخيرة"، يعادل الفصل الثامن فى الكتاب العربى وعنوانه "وثيقة الأحزاب السودانية"! والفصل الأخير فى النصّين هو "توقيع الاتفاقية"، والاختلاف فى فصول الكتابين قد يكون من صنع المحرّر (البريطانى) إذ من عادة الناشرين أن يوكلوا للمحرّرين معاونة المؤلّفين خاصة الكاتبين بلغاتهم غير لغاتهم صياغة كتبهم وإعدادها إعدادا فنّيا يلائم القارئ الأفرنجى. والاختلافات هذه، فى عنوان الكتاب والعناوين الجانبية، هى اختلافات شكلية ولكنّها موحية ومعبّرة عن رغبة المؤلّف فى التأثير على القارئ فى تفهّمه لمحتوى الكتاب أو الفصل، بصورة أو بأخرى. ورغما عن ذلك التنوّع والاختلاف فى النصّين العربى والانجليزى فقد ظلّ المحتوى، فى أساسه، واحدا، وهو رصد دور وإنجاز حسين ذى الفقار فى مستقبل السودان.

موضوع الكتابين:-

فكتاب ثورة يوليو واتفاقية السودان، مثل شقيقه الانجليزى، لا يعترف لثورة يوليو بفضل فى تلك الاتفاقية، إنّما يؤكد ما ذهب اليه المؤلّف فى نصّه الانجليزى من أنّ حسين ذا الفقار هو صاحب المبادرات بشأن الاتصال بكافة الأطراف السودانية قبل قادة (ثورة يوليو)، بل وتحت إلحاح المؤلّف وضيقا به يوافق صلاح سالم على ضرورة الاتصال (بمختلف الأحزاب والهيئات السودانية!)... وحتى ذلك دونما اهتمام جدّى! على حدّ قول المؤلّف.[٢٥] وتمضى فصول الكتاب، مثل صنوه بالانجليزية، فى تأكيد اهتمامه بموضوع السودان ولا مبالاة أعضاء مجلس قيادة الثورة.[٢٦] فالأمر الهام الذى يجمع بين الكتابين العربى والانجليزى هو محاولة ذى الفقار إقناع القارئ بأنّ موقفه يختلف عن موقف المسئولين المصريين إذ يدّعى لنفسه حرصا على مستقبل السودان لا يشاركه فيه المسئولون المصريون، وأنّه صاحب إرادة مستقلّة وفكر مستقل عن مصر الرسمية، وأنّه لم يكن يتصرّف كموظف عام فى الحكومة المصرية يعمل وفق إرشاداتها وتوجيهاتها. بل كانت حكومة

مصر المستجيبة لرغباته والمتبينة لأفكاره. وإنّ كلّ ما قام به من إنجاز رصده فى الكتابين إنّما هو من نتاج جهده وفكره، عليه يشكر وبه يحمد، إذ لم يكن ذو الفقار يباشر تنفيذ سياسة وضعها قادة مصر وساستها وإنّما من صنعه هو. ولقد أدّى هذا الاتجاه أو المنهج الى المبالغة والمغالاة فى دور المؤلّف مع تقليل دور الآخرين من مسئولين مصريين ومن قادة أحزاب السودان !

تعريب وإخراج:-

وأول سؤال يتبادر الى الذهن فى شأن كتاب ثورة يوليو واتفاقية السودان لو أنّ النّص العربى يختلف - فى كثير أو قليل - عن صنوه السيادة للسودان - ولا نحتاج الى تأكيد أنّ المادة الأساسية للكتابين هى نفسها،[٢٧] وأنّ المعالم الرئيسية لموضوع المؤلّف لم تتغير فى أىّ من النّصين، ولكن النّص العربى يختلف اختلافا بيّنا عن رصيفه الانجليزى، اختلافا يستوقف القارئ ويثبت ما أشرنا اليه من منهج المؤلّف الانتقائى الاختيارى وأسلوبه المألوف فى التعديل والحذف والتلوين ! إنّ الاختلاف بين الكتابين يعكس منحى عقليا غريبا واتجاها فكريا خطيرا. والاختلافات بين النّصين كثيرة ومتعدّدة ومتنوّعة، ولكنّها تتلخص فى قليل اضافة، وبعض تعديل، وكثير حذف، مع اختلاف النفس والروح أحيانا. ولا سبيل الى رصد كلّ ذلك وإثباته، بل ولا حاجة لنا بذلك. ونكتفى بإيراد أمثلة مع إبراز أهم الاختلافات وأبعدها أثرا وأعمقها غورا - ونعنى بذلك أساليب ووسائل المؤلّف فى (التعديل) لتحقيق أغراضه وأهدافه.

إضافات .. طفيفة:-

عمد المؤلّف الى قليل من الاضافات فى مواقع متعدّدة من الكتيب العربى، وهى إضافات طفيفة ولكنّها ذات أثر. فقد لجأ المؤلّف - أحيانا - الى إضافة فقرة، أو جملة أو جملتين فى موضع محققا ما يصبو اليه من غرض فيقول:-

"كنت قد اجتمعت بالهيئات السودانية على اختلاف ألوانها، فيما عدا التجمّعات العمّالية

بمدينة عطبرة والتنظيمات الشيوعية السرّية تعذر الوصول الى رئاستها مباشرة، إلاّ أنّه أمكننى الاتصال بأفراد منهم- عمّالا كانوا أم شيوعيين - منبثين فى صفوف بعض التنظيمات الأخرى". (٢٨)

وربما كان سبب إضافة هذه الفقرة فى النّص العربى هو إضفاء شىء من (الموضوعية) على نهج ذى الفقار فى معالجة المسألة السودانية ومحاولة لتأكيد دعواه بضرورة مخاطبة كافة الجهات السودانية. وتعذر الوصول الى رئاسة التنظيمات الشيوعية عذر غير مقبول،فكان من الممكن حدوث ذلك عن طريق نفس الأفراد الذين ذكر لو توفّرت النية وصحّ العزم وتأكّد القصد.

وعلى الرّغم من تقليله من ذكر أسماء السودانيين فى النّص العربى حينما يروى الأحداث، إلاّ أنّه اقتحم اسم محمّد الخليفة شريف[٢٩] حينما تحدّث عن الخلاف وسط (الأنصار) فيقول:-

تيّار يتزعّمه محمّد الخليفة شريف، يرى أنّ دستور الحكم الذاتى قد هيأ بعد طول انتظار إمكانية التخلّص آخر الأمر من قيود الارتباطات الشكلية التى بين مصر والسودان، فينفتح الطريق أمام تنصيب السيد عبد الرحمن المهدى ملكا على السودان، ولو فى ظلّ هيمنة بريطانية ثم تثّار يتزعّمه المثقفون يسعى الى قيام جمهورية مستقلّة، عديد منهم كانوا يتحسّرون فى قرارة نفوسهم على مقاطعة المصريين لهم ..." (٣٠)

ولا أدرى مدى صحّة هذا الزّعم ودقته، ولكن من المعروف أنّ محمّد الخليفة ظلّ يمثل اتجاها واضحا يقف خلف ابن أخته السيد/ الصديق المهدى ويدعمه وهو الذى أبعد شباب الأشقاء عن السيد/ عبد الرحمن فى فى أوائل الأربعينات. وواضح أنّ الفكرة التى يعبّر عنها المؤلّف هنا لا تختلف عمّا كانت تعتقده الجهات الرسمية المصرية آنذاك وكثير من قادة الأحزاب الاتحادية عن الأطماع الملكية للسيد عبد الرحمن

المهدى. وأغلب الظن أنّ تلك محاولة من المؤلّف لاظهار المعرفة بخبايا السياسة السودانية ودقائقها، وربما أنّه عمد الى إغفال هذا فى النّص الانجليزى أكثر من محاولة إثباته فى كتابه بالعربية، وذلك تجنّبا للاشارة بأنّ للسيد عبد الرحمن أطماعا ملكية.

ومن الطريف أنّه ذكر "حزب الاتحاديين"، بل وأفرد له فقرة وأثبت أنّه "ينادى بقيام الاتحاد بين مصر والسودان، ولكن مع احتفاظ كلّ منهما بشخصيته المستقلّة، وبمؤسساته المتميزة." (٣١) وقد يكون هذا أيضا من دواعى تأكيد المعرفة الدقيقة بالخارطة السياسية للسودان آنذاك. ولا أحسب أنّ إغفاله من ذكر حزب الاتحاديين فى كتاب السيادة .. للسودان من باب المصادفة ولا لأنّه حزب صغير. وإنّما لأنّ ذكره سيفسد على المؤلّف خطّته فى الهجوم (على الاتحاديين) وزعمه بتبعيتهم لمصر، خاصة وأنّهم ظلّوا ينادون بنوع من الاتحاد شبيه بالدومنيون ! بالاضافة الى (التشويش) والخلط الذى قد يسبّبه للقارئ الانجليزى لاستعمال المؤلّف غير الدقيق لكلمة "الاتحاديين".

غير أنّ أهمّ الاضافات كانت فى روايته لمسعى صلاح سالم لاقامة تنظيم واحد للأحزاب الاتحادية، والتى انتقدها المؤلّف فى الكتابين ولكن بدرجات متفاوتة. فيعترف حسين ذو الفقار بأنّ ذلك التوحيد مكّن الحزب الوطنى الاتحادى من الحصول على أغلبية فى الانتخابات. ثم يضيف ويقول بالنّص :-

> "ومن ثمّ أعانتنا مواقف حكومة اسماعيل الأزهرى والبرلمان المؤيد له، على أن تعصف لجنة السودنة سريعا بمكامن النفوذ البريطانى المتغلغل فى الأجهزة الحسّاسة من إدارة وجيش وشرطة ..." (٣٢)

ولم يذكر المؤلّف هذا إحقاقا للحق وإثباتا للحقيقة وإلاّ لكان مكانها كتاب السيادة .. للسودان ! وربما أراد أن يخفّف بها غلواء هجومه على توحيد الأحزاب الاتحادية لعلمه وتيقنه بأنّ ذلك لن يلقى التأييد من الكثير من قرّاء كتابه من المصريين والسودانيين من أنصار تلك الأحزاب، ولمعرفة الكثير من القرّاء حقيقة اشتراكه فى

اجتماع توحيد ذلك الحزب.[٣٣]

ومن الاضافات الطفيفة اعتراف المؤلّف فى النّص العربى بأنّ دكتور حامد سلطان هو مصدر معلوماته عن خطّة السيد صلاح سالم لمجابهة البريطانيين وإحراجهم أثناء المفاوضات. ويبدو أنّ للمؤلّف ثارات مع الدكتور حامد سلطان. فلقد روى المؤلّف فى كتابه بالانجليزية وعلى مدى صفحات[٣٤] كيف أعدّ صلاح سالم العدّة لمواجهة الجانب البريطانى بمشروع مضاد لذلك الذى تقدّموا به. وكانت الرواية، وكأنّه عرف تفاصيل الأمر مباشرة رغم اعتكافه ومرضه، ولكنّه اعترف - كارها! - بأنّ الدكتور حامد سلطان قد زاره وأخطره بتفاصيل الأمر! ولا يذكر المؤلّف مطلقا اسم الدكتور حامد سلطان فى النّص الانجليزى فى سياق هذه الرواية! وما كنت لأهتم بتلك (الهفوة الصغيرة) لولا حديث المؤلّف غير الكريم عن دكتور حامد سلطان والذى استشهدنا به وترجمناه من قبل فى الجزء الأول من هذا المقال.

الحذف والاغفال:-

اختفت أجزاء ضخمة من كتاب السيادة..للسودان ولم تظهر قط فى كتيب ثورة يوليو واتفاقية السودان. وبعض الذى حذف لا يأبه به، إذ أنّه لا يثير اهتمام القارئ العربى مثل تفضيل المؤلّف لحجرة (البلياردو) بنادى الثقافة على تلك الكئيبة بالفندق الكبير ومثل هذه العبارات التى قد يستظرفها بعض القرّاء الانجليز والتى قد تجعلهم يحسّون بقرب وجدانى من المؤلّف! فربما أملته ضرورة التمييز حين مخاطبة جمهورين مختلفين من القرّاء.

ويبدو أنّ المؤلّف آثر ألاّ يتعرّض لأسماء السّاسة السودانيين فى النّص العربى فكادت أسماؤهم أن تختفى من هذا الكتيب! إلاّ فيما ندر جدّا، فلم يذكر إلاّ قلّة قليلة وفى مواضع محدّدة، وعمد الى ذكر بعض الأحداث منسوبة للمجهول! فاختفت تعليقات المؤلّف الظريفة عن بعض القادة السودانيين كالدرديرى عثمان[٣٥] وخلف الله خالد[٣٦] ومحمّد نور الدين[٣٧] وأزهرى والتى لم تخل من صدق وحسن ملاحظة، وإن كان بعضها قد يبدو جارحا غير لائق فى نظر البعض. وواضح أنّ حذف هذا الجانب لا يحتاج الى تعليل.

وقد احتلّت مقابلة المؤلّف للسيدين الميرغنى والمهدى صفحات فى كتاب السيادة للسودان، ولكنّه اكتفى فى الكتيب العربى أن يذكر بأنّه "تحرّك ساعيا الى الاتصال بجميع الجهات مقتحما طريقه الى أعلى المستويات". (٣٨) ولا أجد تفسيرا لهذا الحذف، إن كانت المقابلات قد تمّت بالفعل ! فقد كان يكتفى المؤلّف أن يغيّر صياغة وصفه للزيارات تفاديا للحرج، إذ لا يعقل أن يبدى إعجابه بالمظهر (الملوكى) للسيد عبد الرحمن فى زمن الجمهورية الأولى لمصر !

ويثبت حسين ذو الفقار فى كتابه السيادة للسودان تفاصيل مناقشات طويلة جرت بينه وبين ابراهيم أحمد (٣٩) ويزعم أنّها جرت قبل توقيع الاتفاقية. وحقيقة الأمر فإنّ وصفها بالمناقشات فيه كثير من التجاوز، إذ أنّها اتسمت بالافاضة من جانب ابراهيم أحمد وبدت وكأنّها بيان يوضح خطأ سياسيا، (٤٠) وهو الدفاع عن الدعوة لاستقلال السودان وسيادته، فما كان حوارا أو مناقشة أو تبادل رأى أو مفاوضة وكان الظن أنّ تلك الآراء قد جمعها المؤلّف واختزنها أثناء فترة عضويته للجنة الحاكم العام مع ابراهيم أحمد ! وكان ذلك حدسى رغم تأكيد المؤلّف غير ذلك. على أى حال، فلقد اختفت كلّ تلك الصفحات الطوال من النّص العربى جملة وتفصيلا، بل اختفى اسم ابراهيم أحمد والكلمات الحسان التى وصفه بها المؤلّف لعلّه يعرفها حسين ذو الفقار. ولكن نميل الى أنّ هذه الأحاديث التى يؤكد المؤلّف أنّه أجراها مع الساسة السودانيين فى الخرطوم لم تحدث إلاّ بعد لقائه بهم فى القاهرة أو بعد توليه عضوية لجنة الحاكم العام. فليس هناك ما يدلّ على اتصالات بين مصر والأحزاب السودانية قبل نهاية أكتوبر ١٩٥٢ وقبل حضور الوفود السودانية لمصر. فلم ترصد الادارة البريطانية تلك الاتصالات التى جرت فى الخرطوم وإلاّ لما فوجئت بما حدث من تفاهم كما جاء فى وثائق الخارجية البريطانية (١٩٥٣)، (٤١) ولم ترد فى أىّ من مذكرات السودانيين والمصريين التى نشروها عن تلك الحقبة.

وخلا النّص العربى من قصّة الدكتور حامد سلطان (وتهالكه) أمام عدسات التصوير كما صوّرها ذو الفقار، واختفت الكلمات الجارحة التى وصف بها المؤلّف الحادثة. وحقيقة الأمر فالحادثة تافهة

لا تستحق الذكر ولا تثير الاهتمام ،ويعجب المرء كيف ظلّت فى ذاكـــرة المؤلّف لأكثر من ثلاثين عاما !

تحوير وتبديـــــــــل:-

وثورة يوليو واتفاقية السودان - كرصيفه - يطفح بالهجـــوم القاسى على (الاتحاديين) وإن بدا أخف بعض الشىء ممّا جاء فى الكتاب الآخر وذلك بحذف أسماء من يهاجم من قادة الاتحاديين. فصار المؤلّف يذكر الحوادث مبنية للمجهول كقوله (رأى وحيد تجاسر فيقترح تكوين لجنة استشارية فى سراى الحاكم العام)،[٤٢] وكان قد ذكر فى كتابه بالانجليزية أنّ ذلك من أقوال ميرغنى حمزة.

غير أنّ أطرف تحوير هو ما جرى لحوار المؤلّف مع مبارك زروق الذى أفرد له حيّزا ضخما فى كتاب السيادة للسودان ونؤثر أن نثبته بالنّص حيث يقول:

"فسعيت "للاتحادى" مبارك زروق. لقد شعـــرت بالحاجة للتأييد والتعضيد. ولكن عواقـــب السودنة الكاملة كانت أمرا لا يقوى على هضمه! فمن البداية تمسّك بعدم مقاطعة الاتحاديين (اقرأ الأشقاء) لانتخابات الحكم الذاتى التى اقترحها الحاكم العام إذ أنّ الختمية سيتخلّون عن مواقفهم حتى لا يتركوا الميدان خاليـــا للأنصار. ولقد استغرب من يقينى الثابـــت بالضغط على الانجليز لتعديل مشروع القانون. فقد كان يعتقد بأنّهم سيتمسكون بموقفهـــم وهأنـــذا أحرّض كلّ شخص لتحدّى الحاكم العـــام ولتصفية جهاز الادارة البريطانية. والآن أذهب الى المدى الذى أقترح فيه الطرق لطـــرد البريطانيين عسكريين ومدنيين. لقد أقلقـــه الأمر غاية القلق ! اسمع يا صديقى: هذه لعبة خطيرة. فكلّ شىء قد ينسف. ولكنّى كنت مصـــرّا بشدّة. فقال بتأتأة: هل من الممكن.. يعنى هل

يمكن أقصد لو... السودانيون...حسنا، أقول لو أنّنا اتفقنا أجمعين أن نصدر تصريحا... فقط لازالة شكوك الانجليز..ذلك بأنّنا سنعقد اتفاقية دفاع اقليمية معهم بعد فترة الحكم الذاتى فإنّ ذلك قد يمنعهم من التدخل الكثير فى شئوننا وسينتفع السودان من هذا،ويظلّ حرّا فيما يختار من شئونه الداخلية وتحديد علائقه المستقبلية بمصر كما شاء ... ثم انخفض صوته ونظر الىّ مليّا مدققا مشوقا لمعرفة رأيى،وكان الأمر أكثر ممّا أطيق ! ولكنّنى لم أقل شيئا. فجحظت مصعوقا فى عينى مبارك المكتئبتين كعينى غزالة. إذا كان هذا اتجاه أكثر شباب الاتحاديين أمانة وممّن يقال أنّهم من غلاة الاتحاديين فكيف يكون شأن الآخرين ؟ ودون تعليق ودّعت مبارك زروق. وكنت منزعجا بحق." (٤٣)

ويجىء النّص العربى لينسب كلّ ذلك الحوار الى (أحد الأقطاب البارزين بمؤتمر الخرّيجين) ويكتفى بفقرة موجزة يقول فيها :-

أذهلنى ... إذ يقترح بأن نوحى للجانب البريطانى بأنّ مصر لا تمانع فى أن ينضوى السودان بعد تقرير المصير ... تحت لواء مشترك للدفاع المشترك .. حتى يطمئن الانجليز .. فلا يتهوّروا الى تصرّفات رعناء". (٤٤)

وهذه نماذج للتحوير والتبديل التى يلجأ اليها المؤلّف والتى لا نحسب أن يكون سببها السهو أو النسيان،ولا نظن أنّها مصادفة وإنّما نحسبها مقصودة ومرغوبة من جانب المؤلّف ،على الأقل لتجنّب الحرج حينا ولاثبات المعرفة حينا آخر حتى ولو كان فى ذلك طمس للحقيقة أو تحريف لها. على أىّ،فإنّ المنهجية واضحة فى أسلوب المؤلّف فى معالجة الأحداث ذاتها وكذلك فى تعريبه للكتاب ليلائم قرّاء العربية وذلك عن طريق أسلوب الاضافات والحذف والتحوير.

خلاصة القـــــــول:-

إنّ كتاب ثورة يوليو واتفاقية السودان لا يختلف كثيرا عـــن رصيفه السيادة للسودان فى الموضوعات التى عالج، وإنّما ينحصـــر الاختلاف فى بعض التفاصيل التى أورد أو حذف أو بدّل أو أضاف - رغبة فى الاسترضاء أو خشية الحرج. ولقد اتسم - كرصيفه - بشىء من عـــدم التدقيق فى سرد الحقائق التاريخية. والكتابان يفتقران الـــى التعليل والتحليل الموضوعى للأحداث ، ويعانيان من تضخيم الكاتـب لدوره الشخصى فى سير ونتائج الأحداث ،ومن منهجه الانتقائى أيضـا. ولقد طغت النظرة الشخصية ، التى لا تخلو من التحامل أحيانا ،علـــى الكتابين كما سادتهما روح الوصاية وشعور التبنّى ممّا قد يسبّـب الضيق لمن يقرأ أيّا من الكتابين من السودانيين.

الهوامـــــش :-

(1) Hussein Zul Fakar Sabry, Sovereignty For Sudan, London: Ithaca Press, 1982

وقد نشرت المقالات بعنوان " السيادة للسودان" فى سبع حلقات بجريدة الأيام فى الفترة ما بين ١٦ فبراير و٣ مارس ١٩٨٥.

(٢) بدأت مفاوضات الحكومة المصرية مع الأحزاب السودانية : الاستقلالية والاتحادية منذ أواخر أكتوبر ١٩٥٢ وحتى توقيع الاتفاقية المصرية البريطانية فى فبراير ١٩٥٣. وفى العاشر من يناير ١٩٥٣ وقعت جميع الأحزاب السودانية على وثيقة تؤيد فيها المقترحات المصرية بشأن دستور الحكم الذاتى وتلتزم بمقاطعة أيّة انتخابات تجرى على أىّ دستور سواه. انظر:رئاسة مجلس الوزراء: السودان من ١٣ فبراير ١٨٤١-١٢ فبراير ١٩٥٣. (القاهرة - المطبعة الأميرية - ١٩٥٣) ص ٢٩٧-٢٩٩.

(٣) توحّدت الأحزاب الاتحادية وهى حزب الأشقاء بزعامة اسماعيل الأزهرى والأشقاء بزعامة محمّد نور الدين،وحزب الاتحاديين. وحزب الجبهة الوطنية وحزب الأحرار الاتحاديين وحزب وحدة وادى النيل فى عام ١٩٥٢م فى حزب واحد هو الحزب الوطنى الاتحادى.

(٤) رئاسة مجلس الوزراء. السودان من ١٣ فبراير ١٨٤١-١٢ فبراير ١٩٥٣ ص ٣٠٠-٣٨٣.

(٥) وثائق الخارجية البريطانية السرّية لعام ١٩٥٣(١٣) اتفاقية بين مصر وأحزاب السودان،"صحيفة الشرق الأوسط"عدد ٣١ يناير ١٩٨٤.

(٦) عبد الرحمن على طه ، السودان للسودانيين (الخرطوم ١٩٥٥) ص ٩١-٩٣.

(٧) نفسه ،ص ١٠١-١٠٣

(٨) مذكرات حزب الاتحاديين لمصر عديدة ونقصد المذكرة بعنوان: "حزب الاتحاديين ينقد توصيات لجنة التعديل" ولقد نشرت

بجريدة صوت السودان فى أكتوبر ١٩٥١ أو حوالى ذلك . وحدّثنى السيد محمّد الخليفة طه الريفى الصحفى الشهير والمحرّر بجريدة صوت السودان أنّ الحكومة المصرية طلبت نسخة من تلك المذكرة قبيل بداية المفاوضات واضطرّ الى قصّها من إرشيف الجريدة وإرسالها لمصر وللكاتب نسخة بالرونيو (ضمن مجموعة ابراهيم يوسف سليمان).

(٩) عبد الرحمن على طه، المرجع السابق،ص ١٠٤-١١٠

(١٠) مذكرات خضر حمد، الحركة الوطنية السودانية (الشارقة: مكتبة الشرق والغرب، ١٩٨٠) ص ٩٦٨.

(١١) حسين ذو الفقار صبرى - السيادة للسودان - ص ٣٧٠.

(١٢) نفسه.

(١٣) (أ) ميرغنى حمزة - من أبرز زعماء الختمية ومن مؤسسى الجبهة الوطنية التى اندمجت فى الحزب الوطنى الاتحادى حيث أصبح من قادته وتقلّد منصب وزارة المعارف والزراعة والرى. ثم كوّن حزب الأشقاء الجمهورى وصار من زعماء حزب الشعب الديمقراطى بعد الاستقلال.

(ب) مبارك زروق - من أقطاب حزب الأشقاء وسكرتير الحزب لفترة. ومن زعماء الحزب الوطنى الاتحادى، شغل مناصب وزارية عدّة وكان أول وزير خارجية للسودان.

هذا ولقد نحيل القارئ الى صفحات ٦٢ و٦٦ من كتاب السيادة للسودان لحديث المؤلّف عن السيدين ميرغنى ومبارك والى تعليقاتنا فى الحلقة الثالثة والرّابعة من السلسلة المذكورة آنفا.

(١٤) على حامد، "مسيرة وحدة وادى النيل بين المؤيدين والمعارضين من المصريين والسودانيين" الصحافة العدد الأسبوعى ١٩ مارس ١٩٨٣.

(١٥) عبد اللّطيف البغدادى، مذكرات عبد اللّطيف البغدادى، الجزء الأول (القاهرة: المكتب المصرى الحديث، ١٩) ص ٢٨١.

(١٦) على حامد، "كيف أجمع السودانيون على الاستقلال"، جريدة الصحافة ١٣ يناير ١٩٨٣.

(١٧) على حامد ـ المقالين المذكورين آنفا.

(١٨) يحى محمّد عبد القادر،على هامش الأحداث فى السودان(الخرطوم : الدّار السودانية للكتب ،د.ت) ص ٢٢٨.

(١٩) الأستاذ جبران حائك صحفى لبنانى كان مديرا لتحرير الجريدة البيروتية وقد دعته حكومة الوطنى الاتحادى لحضور احتفالات الجلاء (أغسطس ١٩٥٥). وحينما تبيّن للسيد يحى الفضلى صلة الأستاذ/ جبران بعبد الناصر استدعاه ـ ثانية ـ وحمّله رسالة ثم أخرى لعبد الناصر.

(٢٠) "جبران الحائك يروى خفايا وأسرارا رافقت معركة الاستقلال" الحلقة الخامسة ،مجلّة الدستور، ٧ سبتمبر ١٩٨١.

(٢١) البغدادى،ص ٢٩٣.

(٢٢) ذو الفقار،ثورة يوليو،ص ٥٢

(٢٣) د. حامد سلطان،قانونى دبلوماسى،كان عضوا فى وفد المفاوضات المصرية البريطانية ،نوفمبر ١٩٥٢ـ فبراير ١٩٥٣.

(٢٤) ذو الفقار، السيادة للسودان،ص ١٣٥.

(٢٥) نفسه ،ص ٣١-٣٢.

(٢٦) ذو الفقار،ثورة يوليو،ص ٥٦-٦٢ و٦٩-٧٢.

(٢٧) بعض أجزاء هذا الكتاب تكاد تكون ترجمة. فمثلا صفحات ٢ الى ٩ عبارة عن ترجمة للصفحتين السادسة والسابعة من كتاب السيادة للسودان.

(٢٨) ذو الفقار،ثورة يوليو،ص ٥٦

(٢٩) محمّد الخليفة شريف ـ ابن عم السيد/ عبد الرحمن المهدى وخال السيد/ الصدّيق المهدى،رئيس حزب الأمّة فى ذلك الوقت. من كبار الأنصار وأقطاب حزب الأمّة.

(٣٠) ذو الفقار،ثورة يوليو،ص ٥٣.

(٣١) نفسه ،ص ٥٢.

(٣٢) نفسه ،ص ١٠٢.

(٣٣) محمّد نجيب ،كلمتى للتاريخ (القاهرة : دار الكتاب النموذجى،

١٩٧٥) ص ١١٢.

(٣٤) ذو الفقار، السيادة للسودان، ص ١٢٨-١٣٠.

(٣٥) الدرديرى محمد عثمان من زعماء الختمية وسكرتير الجبهة الوطنية التى انضمّت للوطنى الاتحادى. وكان ممثل الوطنى الاتحادى فى لجنة الحاكم العام فى فترة الحكم الذاتى ثم صار عضوا بمجلس السيادة بعد الاستقلال.

(٣٦) خلف الله خالد- من أقطاب الختمية ومن مؤسسى الجبهة الوطنية أصبح أمينا للصندوق للحزب الوطنى الاتحادى وممثله فى لجنة الانتخابات ثم أول وزير للدفاع فى الحكم الوطنى. أصبح من زعماء حزب الاستقلال الجمهورى ثم من قادة حزب الشعب الديمقراطى

(٣٧) محمّد نور الدين وكيل حزب الأشقاء، ثم انفصل وتزعّم جناحا بنفس الاسم حتى اندماجه فى الوطنى الاتحادى. ظلّ متمسّكا بالاتحاد مع مصر حتى إعلان الاستقلال. شغل مناصب وزارية عديدة وأصبح من أقطاب حزب الشعب الديمقراطى بعد الاستقلال.

(٣٨) ذو الفقار، ثورة يوليو، ص ٣٢

(٣٩) ابراهيم أحمد - من قادة حركة الخرّيجين. كان سكرتيرا لمؤتمر الخرّيجين لعدّة دورات، أهمّها الدورة التى قدّمت فيها مذكرة المؤتمر للادارة البريطانية بمطالب البلاد فى عام ١٩٤٢م. صار من أقطاب حزب الأمّة وممثلهم فى لجنة الحاكم العام، ثم صار وزيرا للمالية بعد الاستقلال.

(٤٠) ذو الفقار، السيادة للسودان، ص ٥٣-٥٧.

(٤١) "وثائق الخارجية البريطانية السرّية لعام ١٩٥٣-(١٣)، اتفاقية بين مصر وأحزاب السودان" جريدة الشرق الأوسط - ٣١ يناير ١٩٨٤.

(٤٢) ذو الفقار، ثورة يوليو، ص ٧٤-٧٥.

(٤٣) ذو الفقار، السيادة للسودان، ص ٦٦

(٤٤) ذو الفقار، ثورة يوليو، ص ٧٦.